

مختصر ابن كثير

22 - وقال الشيطان لما قضي الأمر إن اﷻ وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم .

23 - وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام .

يخبر تعالى عما خاطب به إبليس أتباعه بعد ما قضى اﷻ بين عباده فأدخل المؤمنين الجنات وأسكن الكافرين الدركات فقام فيهم إبليس لعنه اﷻ يومئذ خطيبا ليزيدهم حزنا إلى حزنهم وغبنا إلى غبنهم وحسرة إلى حسرتهم فقال : { إن اﷻ وعدكم وعد الحق } أي على السنة رسله ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة وكان وعدا حقا وخبرا صدقا وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم كما قال تعالى : { يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غورا } ثم قال : { وما كان لي عليكم من سلطان } أي ما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه دليل ولا حجة فيما وعدتكم به { إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي } بمجرد ذلك هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاؤوكم به فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه { فلا تلوموني } اليوم { ولوموا أنفسكم } فإن الذنب لكم لكونكم خالفتم الحجج واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل { ما أنا بمصرخكم } أي بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه { وما أنتم بمصرخي } أي بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال { إني كفرت بما أشركتمون من قبل } قال قتادة : أي بسبب ما أشركتموني من قبل قال ابن جرير : يقول إني جددت أن أكون شريكا ﷻ وهذا الذي قاله هو الراجح كما قال تعالى : { ومن أضل ممن يدعو من دون اﷻ من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ... وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء } وكانوا بعبادتهم كافرين { وقال : كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا } . وقوله : { إن الظالمين } أي في إغراضهم عن الحق واتباعهم الباطل لهم عذاب أليم والظاهر من سياق الآية أن هذه الخطبة تكون من إبليس بعد دخولهم النار كما قدمنا قال الشعبي : يقوم خطيبان يوم القيامة على رؤوس الناس يقول تعالى لعيسى بن مريم : { أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون اﷻ } ؟ قال : ويقوم إبليس لعنه اﷻ فيقول : { وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي } الآية ثم ذكر تعالى مآل الأشقياء وما صاروا إليه من الخزي والنكال وأن خطيبهم إبليس عطف بمآل السعداء فقال : {

وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار { سارحة فيها حيث ساروا
وأين ساروا } خالدين فيها { ماكثين أبدا لا يحولون ولا يزولون } بإذن ربهم تحيتهم فيها
سلام { كما قال تعالى : { حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال هم خزنتها سلام عليكم {
وقال تعالى : { والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم { وقال تعالى : { ويلقون
فيها تحية وسلاما { وقال تعالى : { دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر
دعواهم أن الحمد لله رب العالمين }